

# {صوت الضاد}

## {الفصيحة التي نزل بها القرآن}

1. مدخل لمبحث صوت الضاد العربية اللسانية .....
2. هل اللغة العربية تسمى بلغة الضاد دون غيرها؟ .....
3. التعريف بمخرج صوت الضاد التي نزل بها القرآن .....
4. هل الضاد أصعب المخارج كما اشتهر أم لا ؟ .....
5. حديث أنا أفصح من نطق بالضاد ( هل يصح ؟) .....
6. صفات صوت الضاد التي نزل بها القرآن .....
7. صوت الضاد اللسانية الضعيفة عند سيويه .....
8. صوت الضاد الدالية والظائية عند المعاصرين .....
9. التعريف بصفة استطالة صوت الضاد اللسانية .....
10. مقالة العلماء المتقدمين بشجرية مخرج الضاد .....
11. هل الضاد العربية متصفة بالتنفي كالشين أم لا ؟ .....
12. علماء الأصوات وتعريفهم لصوت الضاد الانفجارية .....
13. ابن غانم المقدسي والمرعشي ومشكلة الضاد .....
14. الرد على من أبدل صوت الضاد بصوت الظاء .....
15. إبدال صوت الضاد اللسانية بصوت اللام المغلظة .....
16. إشمام صوت الضاد اللسانية بصوت الزاي اللسانية .....
17. جمع الكلمات الضادية لتمييز من غيرها الظائية .....
18. الفرق بين صوت الضاد والظاء في الرسم .....
19. أبيات علم الدين السخاوي في الضاد وشرحها .....
20. أمراض التلفظ بصوت الضاد اللسانية الفصيحة .....
21. مؤلفات تحقيق مخرج صوت الضاد والظاء .....
22. الضاد القرآنية تؤخذ من المقرئ المسند لا المصحفي .....
23. خاتمة بحث صوت الضاد الفصيحة التي نزل بها القرآن .....

# {مَدْخَلٌ لِمَبْحَثِ صَوْتِ الضَّادِ الْعَرَبِيَّةِ اللسانية}

بسم الله منزل القرآن والصلاة والسلام على القائل ( خيركم من تعلم القرآن وعلمه ) وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فأقول وبالله التوفيق : بدأ الإحساس بمشكلة صوت الضاد من جانب اللغويين العرب عقب انتشار الدين الإسلامي ودخول غير الأمم العربية في الدين الحنيف وحاجة هذه الأمم إلى أداء الصلوات وقراءة القرآن وتعلم نطق اللغة العربية التي كانت تحتوي على عدد من الوحدات الصوتية التي لا توجد في اللغة الأم للمسلمين الجدد كاللغة الفارسية والهندية والعبرية والسريانية والرومية والقبطية وغيرها وقد قام علماء اللغة ومن بعدهم علماء القراءات برصد التغيرات الصوتية واللثغة أو الخطأ في نطق أصوات العربية مما يعرض مستخدميها من المسلمين للحن في القرآن وما يترتب على ذلك من تغيير في معاني كلمات التنزيل وقد كانت مشكلة صعوبة نطق الضاد على غير العرب وعلى العرب ممن لم يتعود ويتمرس لنطق الضاد التي نزل بها القرآن من أبرز المشاكل التي واجهت المسلمين في القرون الأولى واستمرت حتى وقت قريب أما صوت الضاد التي نزل بها القرآن فهي رخوا مطبقة كما سجل علماء اللغة ذلك ومن بعدهم علماء القراءات وهي تخرج عندهم من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس وقيل من الحافتين معا والضاد بهذه الصفات إلى جانب ما وصفوها بها من كونها مجهورة مطبقة مستطيلة لا ينطق بها في الوقت المعاصر في اللهجات الدارجة العامية بل صار النطق بها متنوع بين دولة وأخرى ففي مصر المحروسة تلفظ دالا مفخمة وفي الخليج العربي تلفظ بصوت الظاء وإن مشكلة الضاد قديمة في العربية فقد ذكر سيبويه من الحروف غير المستحسنة ( الضاد الضعيفة ) ويبدو أن مشكلة الخلط بين صوت الضاد والطاء ترجع إلى عصر صدر الإسلام فقد ذكر أبو العلاء الهمداني العطار في كتابه التمهيد أن أعرابيا خلط بين الضاد والطاء عند عمر بن الخطاب حين نطق ( الظبي ) بالضاد فاعترض عليه عمر رضى الله عنه .

ويمكن للدارس أن يلاحظ اتجاهين في معالجة مشكلة صوت الضاد من حيث التصنيف والتأليف الأول : يتمثل في العناية بالألفاظ التي تنطق بالضاد والطاء والاشتغال بحصرها وتأليف الرسائل في ذلك وهي مؤلفات تشبه المعاجم الصغيرة وهذا الاتجاه هو الذي استأثر بجهود اللغويين والنحاة وتركوا مؤلفات كثيرة تهتم بالتمييز الكتابي بين الضاد والطاء ولا تتعرض للتمييز النطقي بينهما وقد أحصى الدكتور حاتم الضامن في مقدمة تحقيقه لكتاب ( الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك ) الكتب المؤلفة في ذلك حتى بلغت أكثر من أربعين كتابا . والثاني : الاتجاه في معالجة مشكلة الضاد ويتمثل ذلك بدراسة الخصائص النطقية لصوت الضاد اللسانية والانحرافات التي تلحقه على ألسنة الناطقين وتوضح الصورة الصحيحة لنطقه وكان لعلماء التجويد القسط الأوفى في هذا الدرب حتى أنهم ألفوا في ذلك المؤلفات المستقلة التي تهتم بنواحي النطق من غير أن تتعرض لحصر الألفاظ التي تكتب بالضاد أو الظاء . وقد كان كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ( ت 225 هـ ) من أوائل المؤلفات التي

حفلت بالعديد من الملاحظات اللغوية الصوتية الخاصة بنطق غير العرب من الأعاجم المخالطين للعرب لبعض أصوات اللغة العربية ومن ضمنهم صوت الضاد .

وسوف أحرص إن شاء الله لتناول هذا البحث من جميع جوانبه قدر المستطاع وحسب ما تيسر من مراجع لمادة هذا البحث وعلى الجميع أن يعلموا . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، فأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن لا يفهم على غير وجهه ، وإني لأعتذر عن أي قصور أو تعبير فيه خلل .

## { هَلْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تُسَمَّى بِلُغَةِ الضَّادِ دُونَ غَيْرِهَا ؟ }

هذا الحرف قالوا بأنه انفردت به اللغة العربية لأنه لا تشاركه فيه لغة وهذا ما يوجد في بعض الكتب فهل هذا الكلام دقيق أم فيه مبالغة ولكن لا يكون الحكم إلا بعد استقراء جميع اللغات وهيئات لإنسان أن يستقرئ جميع اللغات . قال الإمام الشافعي رحمه الله عن اللغة الواحدة لا يحيط باللغة إلا نبي يعني إلا رجل يوحى إليه لأن اللغة العربية مثلاً واسعة والعرب منتشرون في الجزيرة العربية في فترة نزول الوحي فلا يستطيع أن يقول إنسان هذا هو الكلام العربي كاملاً فكيف بالإحاطة باللغة حتى علماء العربية لم يُدَوِّنُوا كل ما تكلمت به العرب بل ذكروا المشهور من لغة العرب وأخرجوه لنا في صورة قواعد النحو والصرف . ولكن هناك مختصين مشتغلون بعلم اللغات المقارن هؤلاء يستطيعون أن يقول أن حرف الضاد انفردت به اللغة العربية أم لا حسب ما تيسر لهم من الدراسة أم كونهم يحيطون بعلم اللغة ككل فهذا درب من الخيال . فقد ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ج 1 ص 69 قول الأصمعي بقوله ( وقال الأصمعي : ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريان ذال .. ) اهـ وهذا القول الذي عزاه الجاحظ في القرن الثالث الهجري إلى الأصمعي لا يؤكد ولا ينفي بصورة قاطعة ما تردد في القرون التالية بعده من تفرد العرب بصوت الضاد أو غيره من الأصوات الدارجة وقد تعرضت مقولة الأصمعي عن الأصوات الثلاثة لعدم التداول على مدى ستة قرون لتعود للظهور في مؤلفات التجويد بعد أن أصابها الخلل عند بعض علماء القراءات ومنهم ابن الجزري رحمه الله ( ت 833 هـ ) فقد ذكر في الفصل الذي عقده ليذكر فيه اشتراك اللغات في الحروف وانفراد بعضها بعض في كتابه التمهيد في علم التجويد يقول ابن الجزري ( قال الأصمعي : ليس في الرومية ولا في الفارسية ثاء ولا في السريانية ذال ) اهـ وقد سقط من نص ابن الجزري المنقول عن الأصمعي كلمة ( الضاد ) الواقعة بعد كلمة الرومية وترتب عليه أن صارت الملاحظة ثنائية الأصوات ثلاثية اللغات . وبعد ثلاثة قرون أخرى يصيب قول الأصمعي الحرف في التمهيد لابن الجزري تحريف يظهر عند أبي الحسن علي بن محمد النوري الصفاقسي ( ت 1118 هـ ) فيما نقله من كتاب التمهيد \_ دون عزو إليه \_ حين يقول ( قال الأصمعي ليس في الفارسية ولا السريانية و لا الرومية ذال ) اهـ وفي ضوء تصرف الصفاقسي في نص الأصمعي صارت ملاحظة الأصمعي أحادية الصوت ثلاثية اللغات . وفي القرن الثامن أيضاً نلاحظ ظهور مقولة الأصمعي بعد أن أصابها

النقص وتجهيل القائل معزوة إلى أبي حيان النحوي الأندلسي ( ت 745 هـ ) بين ذلك مما ذكره عز الدين محمد بن أحمد المعروف بابن جماعة ( ت 819 هـ ) في حاشيته على شرح فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي ( ت 746 هـ ) لمتن الشافية في الصرف لابن الحاجب ( ت 646 هـ ) قال الجاربردي في شرح الشافية ج 1 ص 338 ( أصل حروف المعجم تسعة وعشرون على ما هو المشهور ولم يكمل عددها إلا في لغة العرب ولا همزة في كلام العجم إلا في الابتداء ولا ضاد إلا في العربية ) اهـ ويعلق ابن جماعة على عبارة الجاربردي قائلًا ( قوله : " ولا ضاد إلا في العربية " عبارة أبي حيان : والضاد من أصعب الحروف في النطق ومن الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها وهي قليلة في لغة بعض العجم مفقودة في لغة الكثير منهم .... قال : والذال المعجمة ليست في الفارسية والثاء المثلثة ليست في الرومية والفارسية أيضا ) اهـ وفي سنة 1305 هـ يؤلف محمد مكي نصر تلميذ المتولي كتابه نهاية القول المفيد في علم التجويد وفيه يشير إلى قول أبي حيان السابق عن الذال والثاء عازيا النقل إلى كتاب أبي حيان ( شرح التسهيل ) الذي هو شرح كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ( ت 672 هـ ) وفي معجم جمهرة اللغة حيث حفظ لنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري ( ت 321 هـ ) خلاصة ما لاحظته اللغويون السابقون على مدى أربعة قرون من اتصال العرب المسلمين واحتكاكهم بغيرهم من أبناء الأمم والأجناس الأخرى ممن دخلوا في الإسلام وبلغاتهم وفيما ذكره نجد إشارة إلى تفرد أو اختصاص العرب بحرفي ( الحاء و الطاء ) واشتراك العرب مع قليل من غيرهم في ستة حروف هي : العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء وقد جاءت ملاحظة ابن دريد في كتابه الجمهرة بقوله ج 1 ص 4 ( هذا كتاب جمهرة الكلام واللغة ومعرفة جمل منها تؤدي النظر فيها إلى معظمها إن شاء الله ... اعلم أن الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الأسماء والأفعال والحركات والأصوات تسعة وعشرون مرجعهن إلى ثمانية وعشرين حرفا منها : حرفان مختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والطاء وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثيرة وان الطاء وحدها مقصورة على العرب . ومنها : ستة أحرف للعرب وقليل من العجم وهن : العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء وما سوى ذلك فللخلق كلهم من العرب والعجم إلا الهمزة فإنها لم تأت من كلام العجم إلا في الابتداء ) اهـ وفي القرن الثامن الهجري نلاحظ تسرب مقولة ابن دريد عن الحروف الستة التي انفردت بكثرة استعمالها للعرب وهي قليلة في لغة العجم ولا توجد في لغات كثيرة منهم ابن الجزري ( ت 833 هـ ) وقد أصاب التصحيف رسم حرف الطاء المهملة وهو الحرف الخامس من الحروف الستة فرسم بالطاء المعجمة على النحو التالي في التمهيد لابن الجزري ( " وكذا ستة أحرف انفردت بكثرة استعمالها العرب وهي قليلة في لغة العجم ولا توجد في لغات كثيرة منهم وهي : العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء ) اهـ ويرى بعض الباحثون أن التصحيف قد وقع في الأصل من ابن الجزري وليس من محقق الكتاب ودليله فيما ذهب إليه ما أورده أبو الحسن الصفاقسي في كتابه تنبيه الغافلين نقلا عن الجزري دون عزو إليه من قول الأصمعي السابق الإشارة فقال في التنبيه ص 32 ( اعلم أن لغة العرب أكثر اللغات حروفا فليس في لغة العجم ظاء معجمة ولا حاء مهملة .... وكذلك خمسة أحرف انفردت

العرب بكثرة استعمالها ولم توجد في بعض لغات العجم البتة وهي : العين والصاد المهملتان والضاد والقاف والطاء  
المثلثة ) اه ومن خلال استقراء كلمات العلماء السابقة نعلم أن اللغة العربية لم تنفرد بالضاد فحسب بل شاركها  
فيها عدة أحرف أخر فقول ابن دريد هذا ((: ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم وهن : العين والصاد والضاد  
والقاف والطاء والطاء ) اه يدل أن بعض العجم يوجد بقلة لو لغتهم صوت الضاد ومعها باقي الأحرف الستة  
السالفة الذكر .

## {التعريفُ بِمَخْرَجِ صَوْتِ الضَّادِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ}

الضاد التي نزل بها القرآن مخرجها من الحافين أو إحداهما ومن الحافتين أكمل مع مراعاة كونها مستطيلة مجهورة  
رخوة مطبقة ولو انفك عنها أي وصف مما سبق خرجت عن كونها الضاد القرآنية وهي من خصائص لغة القرآن  
التي تميزت بها اللغة العربية وغيرها من الأحرف وأكد ذلك ابن الجزري بقوله في التمهيد (وكذا ستة أحرف انفردت  
بكثرة استعمالها العرب، وهي قليلة في لغات العجم، ولا توجد في لغات كثير منهم، وهي العين والصاد والضاد  
والقاف والطاء والطاء ) اه.

وهذا الصوت يخرج من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو منهما معا ولكن هذا لا يمنع أن تكون أقصى الحافة  
كلها إلى منتهاها مشاركة ولكن منشأ صوتها يبدأ في الظهور عندما يضغط القارئ ويتكئ ويعتمد على الأضراس  
كلها من النواجد والطواحن والضواحك ولا بد من مراعاة تصادم الحافتين لصفحة الأضراس من الداخل والحافة  
من أدهاها لمنتهاها تشارك في إنتاج صوت الضاد بسبب استطالة اللسان حتى يصطدم بمخرج اللام و كانت بعض  
قبائل الجزيرة العربية يضغطون على حافتهم اليسرى وقبائل أخرى يعتمدون على حافتهم اليمنى في خروجها  
وبعضهم كان يخرجها بتوزيع الضغط توزيعا متعادلا متساويا بين الحافتين وعند النطق بالضاد تنطبق حافتي اللسان  
اليمنى واليسرى على غار الحنك الأعلى فينحبس الهواء خلفهما ويسبب هذا الانحباس يؤدي إلى ضغط هواء  
الصوت خلف الحافتين وتحت تأثير هذا الضغط يندفع اللسان إلى الأمام قليلا إلى أن يقرع منتهى رأس اللسان  
مكان التقاء اللحم بالأسنان أي اللثة العليا . والضاد الصامتة تختلف عن الضاد الصائتة وتفصيل ذلك في الآتي  
أولا : الضاد الصامتة ( الساكنة )

قال ابن الجزري رحمه الله في المقدمة الجزرية

والضاد من حافته إذ وليا\* لاضراس من أيسر أو يمناها

خلق الله تعالى للسان حافتين يمينى ويسرى وهذه الحافة اليمنى تنقسم لأقصى ومنتهى وأدنى وكذلك أختها اليسرى وحدود صوت الضاد متعلق بأقصى الحافة لمنتهاها من اليمين أو اليسار وقوله إذ وليا لأضراس أي جاء بعده أو تلاه فعندما نطق بالضاد الصامتة (الساكنة) تصطدم الحافتين بجميع الأضراس العليا والسفلى معا وسبب هذا التصادم يجسب هواء الصوت خلف الحافتين من اللسان فتحت هذا الضغط المستمر لهواء الصوت يستطيل مخرج صوت الضاد حتى يلامس رأس اللسان اللثة العليا وهذا ما سماه علماء اللغة والتجويد بالاستطالة في المخرج وعلى القارئ أن يحذر من استمرار اللسان في الاستطالة ابعده من أصول الثنايا بحيث لو زاد واستطال حتى وصل لأطراف الثنايا العليا تولد صوت آخر هو صوت الظاء اللثوية والسبب في هذا الخطأ المبالغة في استطالة اللسان إلى خارج المنطقة الحدودية الخاصة بمخرج صوت الضاد اللسانية . وهناك من علماء الأصوات من طعن في جريان صوت الضاد بحجة أنه لا يتضح جريانه كباقي الحروف الرخوة والرد على هؤلاء ومن على شاكلتهم نقول أن علماء اللغة والتجويد نقلوا لنا أن العرب في فترة نزول القرآن كانوا ينطقون بالضاد رخوة بجريان الصوت معها جريانا كليا ولكن السبب الذي أدى لضعف جريان الصوت في الضاد الساكنة أن المخرج مغلق نهائيا والصوت محصور بين اللسان وغار الحنك الأعلى لأنها صوت مطبق ومعنى الإطباق انحصار الصوت بين اللسان وقبة الحنك الأعلى والضاد حرف جرى معه اللسان والصوت في وقت واحد فأما جريان اللسان هذا يسميه العلماء الاستطالة في المخرج وأما جريان الصوت هذا يسميه العلماء الرخاوة .

فأثناء جريان اللسان للأمام يكون صوت الضاد مستمرا واستمرار صوتها ذلك ما يسميه العلماء برخاوة صوت الضاد وتحرك اللسان أثناء النطق هذا هو الاستطالة استطالة الضاد أي أن المخرج يجري والصوت يجري معه ولا يشابهها صوت حرف في ذلك أن المخرج يتحرك والصوت يتحرك معا في آن واحد ولكن هل هناك أحرف أخرى يجري معها اللسان والصوت ؟ الجواب لا لأن باقي الحروف يتحقق التصويت بها إما بالقرع أو القلع أو ما يسمى بالتلامس أو التباعد أما الضاد فيما لو كانت ساكنة يتحقق صوتها بالقرع مع جريان اللسان والصوت معا أما في حالة القلع لا شيء يعترض هواء الصوت فيخرج صوتها منفجرا خارج الفم وسماها علماء الأصوات حرف انفجاري والاستطالة تابعة ملازمة للرخاوة وعلى القارئ الحذر من المبالغة في بيان الاستطالة خشية أن يؤدي ذلك إلى شبه السكت أو الفصل والأفضل والأحرى تلقي كيفيتها الصحيحة من شيوخ الأداء المتصل سندهم بالحبيب محمد صلى الله عليه وسلم والحذر كل الحذر من التلقي ممن شيخهم المصحف فحسب . وكل من لا سند له في القراءة يسمى مصحفي والسبب من هذا التحذير أن القراءة سنة متبعة تأخذ بالنقل الصوتي عن طريق سلسلة الشيوخ المتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلى الجميع أن يعلموا أن قراءة القرآن كيفيتها الصوتية توقيفية

ثانيا : الضاد الصائتة ( المتحركة )

أما الضاد الصائتة أي المتحركة بأي حركة كانت يتم صوتها بالتجافي بين العضوين فبعض القبائل العربية كانت عندما تريد النطق بالضاد كان أول منطقة من حافة اللسان تفارق ما يحاذيها من منطقة الأضراس الحافة اليمنى والبعض الآخر عند نطقه بالضاد كانت أول منطقة من حافة اللسان تفارق ما يحاذيها من الأضراس الحافة اليسرى والبعض الآخر من الحافتين معا بتوزيع الضغط عليهما توزيعا متساويا . وبعض العرب يجعل المنطقة اليمنى من حافة اللسان هي التي تفارق غار الحنك الأعلى أولا . ونفس الأمر مع الحافة اليسرى والبعض الآخر كانوا يجدون من الأسهل عليهم أن يفارق اللسان عن غار الحنك الأعلى جملة واحدة فيتوزع هواء الصوت يمنة ويسرة بنسبة متساوية . و هي عند سيويه ( من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس ) اه وفي كتاب سر الصناعة لابن جني ج 1 ص 52 يوافق ابن جني سيويه ويزيد : إلا أنك أن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وأن شئت من الجانب الأيسر وخروجها من الأيسر أيسر ، ) اه وخالف الجاحظ في كتابه البيان ج 1 ص 33 فقال : " فأما الضاد فليس تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرا مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخرج الضاد من أي شذقيه شاء ... ) اه ولكن لعل سأل أن يسأل أيهما أفضل النطق بالضاد من الحافة اليمنى أم اليسرى أم منهما معا ؟ أقول لكل قارئ أن يختار الأسهل والأيسر عليه وإن كنت أميل لخروجها من الجهتين معا في آن واحد هكذا تلقيتها من شيوخ الأسانيد وهكذا أعلم تلاميذي كيف يحسنوا خروجها من الجهتين معا وخروجها من الجهتين فيه مزيد قوة وبيان لصوتها .

## { هَلْ الضَّادُ أَصْعَبُ الْمَخَارِجِ كَمَا اشْتَهَرَ أَمْ لَا } {؟}

اشتهر وانتشر من خلال استقرائي لكتب المتقدمين والمعاصرين الإجماع على قولهم أن الضاد أصعب الحروف على الإطلاق وهذا لا يعني إسقاط التكليف في إخراجها من مخرجها كما يتوهم البعض ودليلهم في ذلك كلام ابن كثير المفسر بل هم مكلفون بإخراجها من مخرجها لأننا متعبدون بتلاوة القرآن فهمناه أم لم نفهمه كما أننا متعبدون بإقامة حدوده فهذه كتلك سواء بسواء ويظن البعض من الناس أن في إخراج هذا الحرف بالكيفية القديمة للضاد الفصحى يحدث فتنة والحق أن الفتنة في مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة قراءة القرآن كما نزلت قال صلى الله عليه وسلم ( اقرأوا كما علم ) والفتنة الحقيقية في عدم قراءة حرف الضاد كما نزل به الوحي . وذكر عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح في التجويد تعريف مخرج الضاد ولم يتعرض لذكر أي صعوبة لنطقه بقوله ص 78 ( ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد وإن شئت أخرجتها من الجانب اليمن وإن شئت من اليسر ... ) اه فقوله إن شئت فيه دلالة أن الضاد بالتدريب والممارسة يسهل التلفظ بها من أي جانب أو من الحافتين معا .

وقيل لا ينقاد خروج الضاد لكل أحد إلا لصاحب اللسان القيم بالفصاحة وقال ابن الجزري في نشره ( وليس في الحروف ما يعسر على اللسان غيره فإن ألسنة الناس فيه مختلفة وقل من يحسنه ) وأشار إلى ذلك أيضا الإمام شريح فقال : الضاد أعظم وأشق على القارئ من الطاء ) ونجد الإشارة إلى عسر هذا الحرف في أقوال شراح الشاطبية وغيرها من الكتب فهل هذا الكلام على إطلاقه أم فيه تفصيل ؟

ولو سألت سألًا افتراضيا - وإن كنت لا أحب الإجابة على الأسئلة الافتراضية - نفترض أن ابن الجزري رحمه الله تعالى بيننا وسألناه سؤال هل تجد صعوبة في نطق الضاد الآن أم لا ؟ لقال لا ولأجاب الشاطبي والداني ومكي وغيرهم بنفس الجواب أن الضاد لا صعوبة ولا مشقة في نطقها وخاصة من متمرس متصدر للإقراء والتعليم ولكن متى الوقت الذي تكون الضاد فيه أصعب المخارج على القارئ ؟ الجواب هو المبتدئ في القراءة العامي وكذلك غير العربي نعم هؤلاء الضاد في حقهم أصعب وأعسر الحروف في النطق على الإطلاق ويلحق بذلك عوام العرب في الوقت المعاصر والسبب أن علماء الأصوات قالوا أن العاميات المعاصرة العربية لا يوجد في نطقهم الضاد العربية الفصيحة بل تطورت الضاد الفصيحة وصارت مفخم الدال في تلفظهم اليومي لأصوات الكلام ... فالله المستعان كيف نقرأ القرآن ونبدل الضاد العربية الفصيحة بمفخم الدال ولكن هذا هو واقع بعض الدول العربية الآن في نطقها للضاد ومنهم من يبدها طاء خالصة فما بالكم بالعجم وغير العربي كيف له أن يحسن النطق بالضاد الفصيحة فهؤلاء ومن على شاكلتهم الضاد أصعب المخارج عليهم أما من تدرب عليها برياضة الفك واللسان معا فهي سهلة ويسرة كباقي الحروف قال ابن الجزري رحمه الله في المقدمة الجزرية :

(( وليس بينه وبين تركه \*\*\*\*\* إلا رياضة امرئ بفكه ))

وهناك حروف يصفها المحققون بالثقل والصعوبة وما أسهلها على من اعتادها ، كالهمز مثلا : موصوف بأنه أنقل وأشد الأصوات كما قال الضباع . رحمه الله . : ولثقل الهمز جرى أكثر العرب على تخفيفه . وقال الدكتور إبراهيم أنيس : والنطق بالهمزة عملية تحتاج إلى جهد عضلي مما يجعل الهمزة أشد الأصوات . وقال مكي بن أبي طالب . رحمه الله تعالى . : الهمزة على انفرادها حرف بعيد المخرج جلد صعب على الالفاظ به بخلاف سائر الحروف مع ما فيها من الجهر والقوة ، ولذلك استعملت العرب في الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف ، فقد استعملوا التحقيق والتخفيف وإلقاء حركتها على ما قبلها وإبدالها بغيرها من الحروف وحذفها في مواضعها ، وذلك كله لاستثقالها ، ولم يستعملوا ذلك في شئ من الحروف غيرها .

ولا داعي من إثارة الرعب والخوف في قلوب من أراد تعلم القرآن من تخفيفه بالضاد وصعوبتها وغير ذلك من الألفاظ ونجد في بعض الكتب التي صنفت في التجويد من قولهم أن خروجها من الأيمن أيسر ومن الأيسر أعسر ومنهما عسير فكل يعبر عن سهولة ما تيسر له وعن عسر ما صعب عليه من نطقها وكل هذا الرعب الذي يسيره بعض طلاب العلم وبعض الشيوخ من تخويف الناس من صعوبة مخرج الضاد لا أحبه وكم من شخص قرأ علي وكانت الضاد صعبة عليه وعلمته كيف يتدرب عليها فأحسن نطقها والله الحمد والمنة . وقيل إن سيدنا عمر رضی



الله عنه كان يخرجها منهما معا فهل هذا الأداء للضاد قاصر علي سيدنا عمر فقط أم يمكن لغيره أن يخرجها كما كان يخرجها عمر رضى الله عنه وأرضاه هل الله تعالى أعطاه عضوا ما أعطانا إياه فالذي أعطى سيدنا عمر أسنانا أعطانا مثله أسنانا والذي أعطى سيدنا عمر لسانا أعطانا لسانا والذي أعطى الحبيب عمر حافتين أعطانا كذلك حافتين والجملة البشرية كلها واحدة فكما أن سيدنا عمر يخرجها من الحافتين معا فنحن بالتدريب نستطيع أن نخرجها مثله \_ رضى الله عنه وعن جميع الصحابة أجمعين \_ إذن فالذي يتدرب على خروج الضاد من اليمين يحسن خروجها من اليمين وكذلك الذي يتدرب على خروجها من اليسار يحسنها من اليسار والذي يتدرب لإخراجها من الحافتين يخرجها من الحافتين معا وهذا الذي به قرأت على شيوخى وبه أقرئ غيرى فالضاد المتحركة بعض العرب كان يجعل أول منطقة تفارق غار الحنك الأعلى الحافة اليمنى وهذا لا يمنع أن الحافة الأخرى مهملة لا مشاركة لها بل مشاركة لكن بداية الابتعاد بعد الضغط على الحافتين كانت من الحافة اليمنى وهذا كان أسهل على بعض العرب والبعض الآخر من العرب كان يضغط على الحافتين أو منطقة تفارق الحافتين الحافة اليسرى وبذا كان أيسر عليهم . وكان بعضهم يباعد بين الحافتين معا في آن واحد وهذا كان أيسر عليهم . وفي مرة قلت لبعض من قرأ علي لا بد لك أن تخرج الضاد وتنطقها كما كان يتلفظ بها العرب الفصحاء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا شيخ نحن لسنا بعرب فصحاء ولا نستطيع تلفظها كما كانوا يتلفظون بها فقلت له : أليس لك أسنان كما كان للعرب قديما قال بلى قلت له أليس لك لسان وشفتين قال : بلى قلت له مكونات فك هي نفسها مكونات فم العربي القديم فكما نطقوا هم بالضاد الفصيحة تستطيع أن تنطق بالضاد الفصيحة مثلهم مع التدرب والتعود عليها .

## { حَدِيثُ ( أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ ) هَلْ يَصِحُّ ؟ }

قال ابن كثير المفسر رحمه الله في تفسيره ج 1 ص 29 ( .... ) وأما حديث \_ أنا أفصح من نطق بالضاد \_ فلا أصل له والله أعلم ) اهـ وذكر الصفاقسي رحمه الله في كتابه تنبيه الغافلين عند كلامة على هذا الحديث ( .... ) والحديث المشهور على الألسنة أنا أفصح من نطق بالضاد لا أصل له ولا يصح انتهى .... وفي الهامش قال المحقق محمد الشاذلي عن هذا الحديث ( في المقاصد الحسنة في بيان ما يكثر من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : حديث أنا أفصح من نطق بالضاد معناه صحيح ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير اهـ . ونقل السيوطي في كتابه الدرر المنثور كلام ابن كثير المفسر حول هذا الحديث بأن لا أصل له وفي كتاب كشف الخفاء للإمام العجلوني ( أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أي من قريش . قال في اللآلئ معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ، . وأورده أصحاب الغريب، ولا يعرف له إسناد، ورواه ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلًا بلفظ أنا أعربكم أنا من قريش، ولساني لسان سعد بن بكر، ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري بلفظ أنا أعرب العرب، ولدت في بني سعد، فأني يأتي اللحن؟ كذا نقله في مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا للجلال السيوطي، ثم قال فيه ( والعجب من المحلى حيث ذكره في شرح جمع الجوامع من غير بيان حاله ) اهـ ، وذكره شيخ الإسلام زكريا في شرح المقدمة الجزرية، ( أنا أفصح العرب بيد أي من قريش ) وأورده أصحاب

الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده انتهى. وفي كتاب المقاصد الحسنة للإمام السخاوي قال (حديث: أنا أفصح من نطق بالضاد، معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قاله ابن كثير. وفي كتاب تذكرة الموضوعات في باب فضل الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام الفتني (أنا أفصح من نطق بالضاد" معناه صحيح ولكن لا أصل له)) قلت معناه والله أعلم أن أفصح من خصت ألسنتهم بنطق هذا الحرف وهم العرب العرباء إذ الضاد حرف من حروف الهجاء للعرب خاصة صرح بذلك أيضا مجد الدين الفيروز آبادي في القاموس، وقال العلامة أحمد بن الحسن الجاربردي شارح الشافية في معناه أنا أفصح العرب ويؤيد هذا المعنى حديث آخر من أمثال هذا الحديث "أنا أفصح العرب بيد أبي من قريش" والله در المتنبي الشاعر فإنه أفصح هذا المعنى في ديوانه حيث قال :

((لا بقومي شرفت بل شرفوا بي \* وبنفسي فخرت لا بجدودي ))

(( وبهم فخر كل من نطق الضا \* د وعود الجاني وغوث الطريد ))

والله أعلم أه مصححه عفا الله عنه...)) اه وكذلك ينظر في النشر ج 1 ص 220 والمقاصد الحسنة للسخاوي ص 95 والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص 61/62. وقد ذكر الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد ج 2 ص 103 بقوله ( .... ما اشتهر على ألسنة كثير من الناس أنه صلى الله عليه وسلم قال ( أنا أفصح من نطق بالضاد ) فقال الحافظ عماد الدين ابن كثير وتابعه تلميذه الزركشي وابن الجوزي والشيخ ابن حجر العسقلاني والسخاوي : أنه لا أصل له ومعناه صحيح والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لكونهم الذين ينطقون بها ولا توجد في لغة غيرهم ) اه ويشير فخر الدين الجاربردي إلى أن الحديث يعني ( أنا أفصح العرب ) لا أفصح في نطق الضاد بقوله ج 1 ص 338 أما ( من قال أنه عنى نفس الضاد لصعوبتها فقد أخطأ لاستواء العرب الأقحاح في الإتيان بالحروف كلها ) اه أما المعنى الذي يشير إلى أن الرسول أفصح العرب فترجع أصوله إلى عدد من الأحاديث المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم التي وردت في كتب السيرة النبوية وكتب الطبقات في روايات مختلفة مثل أنا أعربكم ... ) و ( أنا أعرب العرب .... ) وما ورد في كتب غريب الحديث مثل ( أنا أفصح العرب ... ) وقد أشار أبو حاتم السجستاني ( ت 255 هـ ) في كتابه المذكر والمؤنث ص 33/34 إلى أن فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت طبعا لا تعليما كما عد من العجمة وعدم الفصاحة جعل الضاد ظاء أو الظاء ضادا كما يتبين من النص التالي ( قال أبو حاتم : الفصاحة زينة ومروءة ترفع الخامل وتزيد النبيه نباهة ويقال : المرء مخبوء تحت لسانه يعني : إذا نطق فأحسن وأفصح عظم في العيون وإن كان رث الهيئة .... وإن أنث المذكر أو ذكر المؤنث وجعل الضاد ظاء والظاء أو الظاء ضادا اقتحمته العين وأن كان بهي المنظر والملبس ... وكانت لغة الرسول صلوات الله عليه وأصحابه الفصاحة طبعا لا تعليما ... كما أن من العجمة أن تجعل الضاد ظاء أو الظاء ضادا ) اه .

## {صِفَاتُ صَوْتِ الضَّادِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ}

صوت الضاد العربية اللسانية التي نزل بها القرآن يتولد هذا الصوت من الحافتين مع ما يجاذيهما من أضراس النواجد والطواحن والضواحك كل ذلك حدود مخرج الضاد يصاحب ذلك جريان اللسان وجريان الصوت في وقت

واحد وجريان اللسان يسمى بالاستطالة وجريان وامتداد الصوت يسمى بالرخاوة وتتصف بعدة صفات أخرى. وهي : صوت لساني يتذبذب معه الوتران الصوتيان في الحنجرة , وصوت لساني مجهور ينحبس معه هواء الزفير فلا يجري معه هواء النفس , وصوت لساني رخو : يجري معه الصوت جريانا كليا وصوت لساني مطبق : ينضغط الصوت بين اللسان وغار الحنك الأعلى عند التلفظ به . وصوت لساني مفخم أي : سَمَنٌ يدخل على صوتها فيمتلئ الفمُ بصداه وقد أخطأ من العلماء من قال بقلقلته وعلى القارئ الحذر من ذلك وهو منتشر كثير بين العوام . وصوت لساني مستطيل يمتد اللسان به حتى يصل ويصطدم منتهاه بالثة العليا ولا يزيد على ذلك ولو زاد اللسان قليلا في هذه الاستطالة حتى يصل لأطراف الثنايا العليا لتحول صوت الضاد لصوت الطاء اللسانية اللثوية . والضاد صوت جميع صفاته قوية ما عدا رخاوته وكل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم في ما هو أنقص منه صوتاً . وفي الضاد استطالة ليست لشيء من الحروف فلم يدغموها في شيء من الحروف المقاربة لها ، إلا ما روي من إدغامها في الشين في قوله تعالى ( لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ) (النور: من الآية62) وسوغ ذلك ما في الشين من نفش يشبه الاستطالة يقربها من الضاد. ومن ثم أدغمت اللام والتاء والذال والطاء والثاء والذال والطاء في الضاد ، ولم تدغم هي فيهم . . وفي التمهيد لابن الجزري رحمه الله ص 52 قال : (( الثامن : حروف الإطباق ، وهي أربعة أحرف ، الطاء والطاء والصاد والضاد ، سميت بذلك لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها ، مع استعلائها في الفم ، وبعضها أقوى من بعض ، فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها ، لجهرها وشدتها . والطاء أضعفها في الإطباق ، لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا . والصاد والضاد متوسطتان في الإطباق التاسع : الحروف المنفتحة، وهي ما عدا حروف الإطباق، وسميت بالمنفتحة لأن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا ينحصر )) اهـ . إذن يستخلص من ذكر هذه الصفات أن الضاد العربية التي نزل بها القرآن مجهورة رخوة مستعلية مطبقة مفخمة مستطيلة فلو أتى القارئ بهذه الصفات على كمالها فقد نطق بالضاد التي نزل بها القرآن وخرج وابتعد عن الضاد الضعيفة التي ذكرها سيويه .

## {صَوْتُ الضَّادِ اللَّسَانِيَّةِ الضَّعِيفَةِ عِنْدَ سِيَوِيهِ}

وضح سيويه رحمه الله في كتابه أن هناك تضادا تسمى بالضاد الضعيفة وهذه الضاد الضعيفة يطالب بعض أهل التصنيف لكتب التجويد بها وأغلبهم يعرفون مخرج الضاد بما وصفه سيويه بالضاد الضعيفة ولمعرفة الضاد الفصيحة لا بد من تمييز الضاد الضعيفة من غيرها وقد أشار سيويه إلى صورة من صور نطق الضاد في القرن الثاني الهجري وهي الضاد الضعيفة وعدها من الحروف القليلة في لغة من ترتضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وعند وصف سيويه لطريقة نطق الضاد الضعيفة أشار إلى ثلاثة نقاط أولاها كون مخرجها من إحدى الحافتين فحسب وهذا التعريف تعتمد عليه أغلب كتب التجويد وثانيهما صفة الإطباق وثالثها صفة الاستطالة لمخرج الضاد مما

ينتج عنه مخالطة مخرج الضاد لمخارج غيره من الأصوات اللسانية التالية له في تتابع مخارجها وقد جاء وصف سيبويه للضاد الضعيفة في سياق كلامه عن تعداد الحروف العربية وعددها تسعة وعشرون حرفاً وبين ذلك سيبويه بقوله في كتابه ج 4 ص 432 (( وهذه الحروف التي تمتها اثنين وأربعين جيداً ورديتها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشاهدة إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين وهي أخف لأنها من حافة اللسان وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل حيث تخلط حروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت كذلك في الأيمن )) اهـ ونستطيع من عبارة سيبويه السابقة من وضع تصور لوصف الضاد الضعيفة وهي التي تخرج من الحافة اليمنى فحسب أو من الحافة اليسرى فحسب . وهذا التصور يضع علماء التجويد في مأزق لا سبيل للخروج منه إلا بالبحث في بطون كتب الأوائل لمعرفة هل هناك غير سيبويه من وصف الضاد بالضعف وما هو تعريف الضاد الضعيفة لتجنب . وقد ترتب على عدم وضوح عبارة سيبويه اختلاف اللاحقين في فهم مقصده فنجد من يرى أن الضاد الضعيفة هي الضاد التي ضعف إطباقها وهو ما ذهب إليه أبو علي الفارسي ( ت 377هـ ) كما يستفاد ذلك مما نقله عنه أبو حيان النحوي الأندلسي ( ت 745هـ ) حيث قال في كتابه ارتشاف الضرب ج 1 ص 13 / 15 ( تستقبح وهي كاف كجيم فرع عن الكاف الخالصة وهي لغة في اليمن كثيرة وفي أهل بغداد ..... وضاد ضعيفة قال الفارسي : إذا قلت : ضرب ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه ولكن تخفف وتختلس فيضعف إطباقها ) اهـ ويرى عالم آخر أن الضاد الضعيفة مستقبحة وزعم أن ذلك مرض من أمراض التلغظ بصوت الضاد وهو اللثغة ومن العجز عن إخراج الحرف على حقه وصاحب هذا الرأي هو الإمام أبو الحسن الرماني ( ت 384هـ ) يقول الرماني في شرحه لكتاب سيبويه ( فأما الأحرف المستقبحة فإنها تجري مجرى اللثغة في العجز عن إخراج الحرف على حقه وهي الكاف كالجيم والجيم كالكاف وهذا ضعيف جداً لتباعد ما بين الحرفين وهو دليل على العجز عن إخلاص الحرف حقه .... والضاد الضعيفة للعجز عن إخراجها قوية على حقتها ..... فهذه سبعة أحرف غير مستحسنة لما بينا من أنها تجري مجرى اللثغة إلا أنها لما كانت في جماعة كثيرة من العرب بينها يعرف المذهب فيها ويفصلها من الحروف المستحسنة ويبين أنها لا تجوز في القراءة ) اهـ وفي مقابل رأي الرماني الذي يرى في نطق صوت الضاد ضعيفة شكلاً من أشكال اللثغة عند جماعة كثيرة من العرب نجد رأياً آخر ينسب ذلك النطق إلى قوم ليس في لغتهم ضاد وهذا يعني أنهم من غير العرب من العجم وصاحب هذا القول أبو سعيد السيرافي ( ت 368هـ ) حيث يقول ( الضاد الضعيفة : .... إنها لغة قوم ليس في لغتهم ضاد فإذا احتاجوا إلى التكلم بها في العربية اعتضلت عليهم فرمما أخرجوها طاء لإخراجهم إياها من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والطاء ) اهـ وقد أشار ابن عصفور ( ت 669هـ ) إلى مثل قول السيرافي السابق

حيث قال في الممتع ج 2 ص 667 ( وكان ذلك في لغة قوم ليس في اصل حروفهم الضاد ) اه إلا أنه عاد بعد ذلك عند القول عن الحروف المستزلة - ومنها الضاد الضعيفة - إلى الإيماء بأن هذا النطق للعرب أيضا كما هو للعجم نتيجة اختلاط العرب بالعجم حيث قال ( وكان الذين تكلموا بهذه الحروف المستزلة خالطوا العجم فاخذوا من لغتهم ) اه لكن المقارن بين كلام السيرافي والرماني يجده متضادا وحاول الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي الجمع بينهما بقوله في كتابه صوت الضاد وتغيراته ص 38 ( وللتوفيق بين ما ذهب إليه الرماني وما ذهب إليه السيرافي فإننا يمكننا القول بأن هذا النطق للضاد الضعيفة وغيره من الحروف المستزلة كان لغة عند بعض العرب نتجت عن لكنة أعجمية لمن نشأ من العرب مع العجم .... ) اه وهناك رأي آخر يرى أن الضاد الضعيفة هي التي تقرب من صوت الثاء وصاحب هذا القول الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه الدراسات الصوتية ص 280 قال : ( ..... والذي يظهر أن الضاد الضعيفة هي التي تقرب من الثاء عكس ما قال مبرمان وابن عصفور فنقول في اضرب زيدا اثرب زيدا بين الضاد والثاء ) اه والآن تعددت الأقوال حول الضاد الضعيفة والبعض الآخر من العلماء يرى أن بعض الانحرافات الصوتية التي دخلت على الألسن غيرت التلفظ الصحيح بالضاد التي نزل بها القرآن وقد تعرض عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح في التجويد لقضية الضاد الضعيفة بقوله ص 84/85 ( قال سيبويه : إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وغن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهي أخف منها من حافة اللسان وإنما تخالط مخرج غيرها بعد خروجها فتستطيل حتى تخالط حروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في اليمن ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان كما كانت في الأيمن وإنما قال : وهي أخف لأن الجانب الأيمن قد اعتاد الضاد الصحيحة وإخراج الضعيفة من موضع قد اعتاد الصحيحة أصعب من إخراجها من موضع لم يعتد الصحيحة ) اه وقال أيضا في موضع آخر أن الضاد الضعيفة لغة قوم ليس في نطقهم ضاد ونقل قول ابن عصفور السالف الذكر . ويبدو أن مصطلح ( الضاد الضعيفة ) لم يعد يطلق على صوت محدد فإذا كان سيبويه قد أطلقه على صوت محدد فإننا نجد العلماء بعده يستخدمونه للإشارة إلى أكثر من صوت وذلك حسب ما تؤول إليه الضاد سواء كان ذلك الصوت ظاء أو بين الضاد والطاء أو بين الضاد والثاء و خلاصة القول في موضوع الضاد الضعيفة هي أن الضاد العربية القديمة التي وصغها سيبويه بأنها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس رخوة مجهورة مطبقة مستطيلة لم يعد ينطق بها في عصرنا إلا بعض القراء المتقنين وأنها تغيرت منذ أمد بعيد إلى عدة أشكال وصوتية كل شكل يستخدم في جهة من جهات البلدان التي تتكلم العربية وأن اشهر تلك الأشكال نطق الضاد ظاء كما في العراق ومناطق الخليج العربي ونطقها دالا مفخمة كما في مصر وقد كان علماء التجويد مدركين بشكل عام منذ أمد بعيد لهذا التغيير ولهذا نبهوا وقعدوا بدقة للضاد التي نزل بها القرآن . إذن ما هو وصف الضاد التي نزل بها القرآن لكي يأتي القارئ بها ويحذر الخلل في نطقها خشية أن يؤول صوتها للضاد الضعيفة المستقبحة كما وصفها سيبويه وبعض العلماء ؟ وللجواب عن ذلك يجب على القارئ معرفة أن الضاد الضعيفة التي لم تستوف صفات الضاد العربية الفصيحة المستطيلة

المجھورة المستعلية المطبقة التي من الحافتين معا كما روي ذلك في بعض كتب التجويد أن النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا عمر رضی الله عنه كانا یخرجانها من الحافتين معا .

## { التَّعْرِيفُ بِصِفَةِ اسْتِطَالَةِ صَوْتِ الضَّادِ اللسانية }

قال صاحب القاموس المحيط الاستطالة لغة : امتدَّ ، ومن معاني الاستطالة أيضا : ارتفع وتفضل ، ويقال أرى الربا الاستطالة في عرض الناس أي استحقاقهم ، والترُّفُّعُ عليهم ، والوَقِيعَةُ فيهم . \_ ويقال \_ واستطالهُ البرقُ إلى وَسَطِ السماءِ من غير أن يأخذَ يميناَ وشمالا . وفي لسان العرب : لا سَطِطالَةٌ على الناس إذا هو رَفَعَ رأسه ورأى أنَّ له عليهم فَضْلاً في القَدْرِ . وفي اصطلاح اللغويين والقراء : تعددت التعاريف في ذلك بين مصيب وبين من جانبه الصواب وسوف أذكر الراجح على ما قرره العلماء المتقدمون من اللغويين والمجودين وهو أنه (( امتداد اللسان عند النطق بالضاد من أقصى حافته حتى يصطدم منتهى طرف الحافة للثة العليا ) وهناك فرق بين امتداد اللسان وامتداد الصوت وبعضهم يفهم أن الاستطالة معناها : امتداد الصوت إلى مالا نهاية ، وفي بعض الكتب ( الاستطالة : امتداد الصوت ) وذلك لا يصح لأن امتداد الصوت لا يخص الضاد قال الجعبري في شرحه على الشاطبية باب مخارج الحروف : (( فرق بين المستطيل والممدود بأن المستطيل جرى في مخرجه ، والممدود جرى في نفسه .. )) اه وتوضيح هذا أن المستطيل جرى في مخرجه بقدر طوله ولم يتجاوزه والراجح التعريف الأول أما الثاني الذي ذكر في بعض الكتب . هذا ما لا نتكلف الرد عليه فقد كفانا الجعبري رحمه الله الرد عليه . وقال أبو عمرو الداني في كتابه التحديد في الإتقان والتجويد باب الضاد ( المستطيل حرف واحد وهو الضاد : استطال في الفم حتى اتصل بمخرج اللام ) اه وقال مكِّي في الرعاية في تعريفه لصفة استطالة الضاد اللسانية ص 46 ( ..... الحرف المستطيل وهو الضاد ) سميت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها ، حتى اتصلت بمخرج اللام ، وذلك لما اجتمع فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء فقويت بذلك واستطالت في الخروج من مخرجها حتى اتصلت باللام لقرب مخرج اللام من مخرجها) اه وقال ابن الجزري في التمهيد ص 58 ( والحرف المستطيل وهو الضاد سميت بذلك لأنها استطالت عن الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام وذلك لما فيها من القوة ..... واستطالت في الخروج من مخرجها وقال رحمه الله في كتابه النشر في القراءات العشر ( والحرف المستطيل هو الضاد لأنه استطال عن الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء ) اه وقال أيضا في المقدمة الجزري (والضاد باستطالة ومخرج ميز من الظاء ) اه. وعرفها ابن الوجيه الواسطي في كتابه الكنز في القراءات العشر وهذا الشيخ مجاز من ابن الجزري ونص خط الإجازة التي كتبها ابن الجزري بيده موجودة في نهاية كتابه المخطوط قال ص 40 عن الاستطالة ( ..... الاستطالة والمستطيل حرف واحد وهو الضاد سمى بذلك لأنه : استطال ما فيه من القوة بسبب الجهر والإطباق والاستعلاء فأدرك مخرج اللام ) اه

وقال شارح نونية السخاوي الشيخ الإمام حسن بن قاسم النحوي في تعريفه لصفة الاستطالة ص 109 .... ( والضاد حرف مستطيل استطال في مخرجه وامتد صوته حتى اتصل بمخرج اللام ) اه فقلوه (استطال في مخرجه ) هو تعريف الاستطالة وقوله (وامتد صوته ) هو تعريف رخاوة الضاد . وقال ابن الجزري رحمه الله : والضاد باستطالة ومخرج ميز ... وقال أبو شامة رحمه الله في كتابه إبراز المعاني عند شرحه لهذا البيت من الشاطبية :

وَمُنْحَرِفٌ لَامٌ وَرَاءَ وَكُرِّرَتْ كَمَا الْمُسْتَطِيلُ الضَّادُ لَيْسَ بِأَغْفَلًا

..... قال الشيخ وسمى الضاد مستطيلاً لأنه استطال حتى اتصل بمخرج اللام قال مكى والاستطالة تمدد عند بيان الضاد للجهر والإطباق والاستعلاء وتمكنها من أول حافة اللسان إلى منتهى طرفه فاستطالت بذلك فلحقت بمخرج اللام ومعنى ليس بأغفلاً أي معجم احترز بذلك من الاشتباه بالصاد.. اه قلت والأولى أن يقال الاستطالة عمل اللسان ورخاوته عمل الصوت . وفي كتاب مدخل لعلوم العربية عرف علماء الأصوات الاستطالة بقوله ص 79 (( : أن يستطيل مخرج الصوت ويتصل بمخرج آخر وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة التي تخرج من جانب اللسان وبين ما يليه من الأجزاء من يمين اللسان أو من شماله أو من الجانبين والأكثر من اليمين ، وهذا هو المخرج القديم للضاد كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام الجانبية ولذلك وصفت بالاستطالة ونطقها بعض الأفارقة لاما أما الآن فقد تطور نطقها إلى مفخم الدال . ) اه. وذكر عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح في التجوي ( ت 461 هـ ) بقوله ( وفي الضاد استعلاء واستطالة وجهر وإطباق يجب مراعاته فيها وتوفيره عليها سيما في ما يشتهه لفظه مثل (الضَّالِّينَ)(الشعراء: من الآية 86) و ( الطَّائِبِينَ)(الفتح: من الآية 6) و ( ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ)(الاسراء: من الآية 67) و (ى ظَلَّ وَجْهَهُ)(النحل: من الآية 58) و ( أَضْلَلْنَ كَثِيرًا)(ابراهيم: من الآية 36) و ( فَيَظْلُلْنَ رَوَاكِدَ )(الشورى: من الآية 33) و ( نَاصِرَةٌ)(القيامة: من الآية 22) (إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)(القيامة: 23) وكذلك في مثل ( ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ )(التوبة: من الآية 118) و ( وَضَاقُوا بِهِ صَدْرُكَ)(هود: من الآية 12) لئلا يشتهه بقوله (فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا)(الطلاق: من الآية 9) ( ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)(آل عمران: من الآية 185) لافتراقهما في المعنى وإن تقاربا في اللفظ ) اه وقال ابن الجزري في النشرح ج 1 ص 219 عن الاستطالة ( والضاد: تنفرد بالاستطالة. وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله. فإن ألسنة الناس فيه مختلفة. وقل من يحسنه فمنهم من يخرجها ظاء. ومنهم من يمزجها بالذال. ومنهم من يجعله لاماً مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي. وكل ذلك لا يجوز. والحديث المشهور على الألسنة "أنا أنصح من نطق بالضاد" لا اصل له ولا يصح. فليحذر من قلبه إلى الظاء لاسيما فيما يشتهه بلفظه نحو: ( ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ)(الإسراء: من الآية 67) ، يشتهه بقوله: ( ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا)(النحل: من الآية 58) ، وليعمل الرياضة في أحكام لفظه خصوصاً إذا جاوره ظاء نحو: ( أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)(الشرح: من الآية 3) ، ( يَعِصُ الطَّالِمُ)(الفرقان: من الآية 27) . أو حرف مفخم نحو: ( أَرْضِ اللَّهُ )(الأعراف: من الآية 73) ، أو حرف يجانس ما يشبهه نحو: ( الْأَرْضِ ذَهَبًا)(آل عمران: من الآية 91). وكذا إذا سكن وأتى بعده حرف إطباق نحو: ( فَمَنْ اضْطُرَّ)(النحل: من الآية 115). أو غيره نحو: ( أَفْضَتْهُمُ)(النور: من

(الآية 14) ، (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ) (الشعراء: من الآية 215) ، (وفي تضليل.) اهـ وكما يلاحظ من كلام علماء الأصوات أن العرب المعاصرون لا ينطقون بالضاد الفصيحة البتة بل ينطقون مفخم الدال وهذا واقع بالفعل وسمعته من البعض وخصوصا ممن يتصدر لخراب الصلاة ولذا الواجب على الجميع أن يتعلموا كيفية التلفظ بالضاد العربية القديمة التي كان ينطق بها العرب في وقت نزول القرآن والطريق الموصل لهذه الضاد الفصيحة شيوخ الأداء المجازيين المتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وسلم فعندهم بركة العلم والسند وحسن التلقي فعلى الجميع الحرص على التعليم على يد هؤلاء . أما من ناحية كيفية حدوث الاستطالة في الفم فيجب أن تعلم أن الاستطالة من الصفات المحسنة ولكن يتضح صوتها كاملا حين سكون الضاد فعند التلفظ بالضاد الساكنة ينطبق اللسان كله على غار الحنك الأعلى انطباقا كاملا تماما فبسبب هذا العمل ينضغط هواء الصوت خلف مخرج الضاد فتحت هذا الضغط يندفع اللسان للأمام قليلا حتى يتصل بمنطقة اللثة وليس كما قالت الدكتورة سعاد عبد الحميد في كتابها تيسر الرحمن في تجويد القرآن عند تعريفها لعمل الاستطالة ص 96 بقولها عن عمل اللسان في الاستطالة ( وتحت تأثير هذا الضغط يندفع اللسان إلى الأمام قليلا حتى يصل إلى الثنايا العليا ... ) اهـ وكان الأولى بما أن تقول إلى أصول الثنايا العليا أو اللثة العليا بدل الثنايا العليا فلو اصطدم رأس اللسان بالثنايا العليا لتولد صوت الظاء . وهذا الكتاب ( تيسر الرحمن في تجويد القرآن ) عليه ملاحظات كثيرة فسوف أنشرها على الموقع حماية لجانب الصوت القرآني من إضافات بعض علماء العصر وليتهم اكتفوا بالنقل عن الأئمة المعترين القدماء أفضل من الخلل الذي يُقَعِدُون له في بعض كتب التجويد الحديثة . وإلى الله المشتكى فيمن نصبوا أنفسهم مُقَعِدُونَ لقواعد التجويد من بعض علماء هذا العصر وليتهم يعلموا أن قواعد التجويد مستقرة ولا تقبل الزيادة مثلها مثل قواعد النحو والصرف لكن الملاحظ من خلال استقرائي لكتب التجويد الحديثة أن قواعد النحو والصرف مستقرة وقواعد التجويد ما زالت في تطوير وتجديد فبالله عليكم من الأولى له أن تستقر قواعد القرآن أم قواعد النحو والصرف فمثلا لو جاء رجل لعلماء اللغة العربية وقال لهم نريد نصب الفاعل لأقاموا الدنيا وأقعدوها عليه . وهناك من يأتي ويقول بترك فرجة في الإقلاب فمن أين لهم هذه القاعدة التي لا تعرف إلا من خلال كتب المحدثين . فلماذا لا نرجع لكلام الأئمة المعترين الأوائل في هذا الدرب فهم عرب فصحاء قعدوا للصوت القرآني كما تلقوا فرحم الله الجميع . ويمكن أن نستنتج مما سبق أن المقصود بالاستطالة هو اتساع مخرج حرف الضاد أي أن ما يأخذه الحرف المستطيل من مساحة اللسان أكبر مما يأخذه الحرف غير المستطيل .

## {مَقَالَةُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَجَرِيَّةٍ مَخْرَجِ الضَّادِ}

من معاني الشجر في اللغة في كتاب القاموس المحيط (( : والشَّجْرُ: الأَمْرُ المُخْتَلِفُ، وما بين الكَرَيْنِ مِنَ الرَّحْلِ، والدَّقْنُ، وَمَخْرَجُ الفَمِ ، أو مُؤَخَّرُهُ ، أو الصامِعُ ، أو ما انْفَتَحَ مِنْ مُنْطَبِقِ الفَمِ، أو مُلْتَقَى اللَّهْرَمَتَيْنِ أو ما بين



اللَّحْيَيْنِ وَالشَّجْرَةَ : النَّقْطَةُ الصَّغِيرَةُ فِي ذَقَنِ الْعُلَامِ . وَالْحُرُوفُ الشَّجَرِيَّةُ: ش ض ج . ) اهـ وفي لسان العرب (ج/ص:206/2)...، والجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد، وهي من الحروف الشجرية، والشجر مُفْرَجُ الفم، ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عَكْدَةِ اللسان، وبين اللِّهَاءِ فِي أَقْصَى الفَمِ.... ( ... من الحروف المجهورة، وهي تسعة عشر حرفاً، والجيم والشين والضاد في حيز واحد، وهذه الحروف الثلاثة هي الحروف الشجرية. ) اهـ وقد عدها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين ج 1 ص 58 من الحروف الشجرية والحروف الشجرية عنده هي . الجيم والشين والضاد حيث تحتل هذه الحروف حيزاً واحداً لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم أي مفتحه والشجر ، مجمع اللحيين عند العنقفة وفي لسان العرب : -العَنْقُفُ: خِفَّةُ الشَّيْءِ، ومنه: العَنْقَفَةُ: لِشُعَيْرَاتٍ بَيْنَ الشَّقَّةِ السُّفْلَى وَالذَّقَنِ . والعَنْقَفَةُ: ما بين الشفة السفلى والذَّقن منه لخرة شعرها، وقيل: العَنْقَفَةُ ما بين الذَّقن وطرف الشفة السفلى، كان عليها شعر أو لم يكن، وقيل: العَنْقَفَةُ ما نبت على الشفة السفلى من الشعر؛ قال الأزهري: هي شعرات من مقدمة الشفة السفلى ورجل بادي العَنْقَفَةُ إذا عري موضعها من الشعر. وفي الحديث: ((أَنَّهُ كَانَ فِي عَنَقْفَتِهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ)).  
يقول الخليل :

(( والجيم والشين ثم الضاد معجمة \*\*\*\*\* والصاد والسين ثم الزاي والطاء ))

وقال الإمام مكِّي القيسي في الرعاية ص 49 ( .... الحروف الشجرية : وهي ثلاثة أحرف الشين والضاد والجيم سماهن الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو مفرج الفم قال الخليل مفرج الفم أي مفتحه وقال غيره : الشجر مجمع اللحيين عند العنقفة ) اهـ وقال بنفس الكلام بالنص ابن الجزري في التمهيد ص 48 إذن كلام المتقدمين يثبت أن الضاد تُلَقَّبُ بالشجرية مع الجيم والشين وإن كان بعض المتقدمين لا يعد الياء من الأحرف الشجرية فقد عدها البعض الآخر ويترتب على ذلك أن الأحرف التي تُلَقَّبُ بالشجرية أربعة الضاد والجيم والشين والياء ولا يوجد حرف خامس زائدة على هذه الأربعة يُلَقَّبُ بالشجري .

## { هَلْ الضَّادُ الْعَرَبِيَّةُ مُتَّصِفَةٌ بِالتَّفْشِيِّ كَالشِّينِ أَمْ لَا؟ }

من خلال استقراءى لكتب المتقدمين وحي الشغوف في بناء شخصيتي التجويدية من العلماء المتقدمين وجدت أكثر من كتاب تحدث أن الضاد متفشية ولعل ذلك يكون فيه غرابة على البعض ممن أغلق نفسه وعقله على الكتب المعاصرة واكتفى بذلك وإن كنت أرى أن كلام المتقدمين حجة وأخص من ذلك تعييدهم الدقيق (( لبناء قواعد التجويد على أساس صوتي صحيح )) ولا حجة لكلام المعاصرين في المسائل التجويدية وخاصة فيما لو وقع الخلاف بين فريق المعاصرين وفريق المتقدمين كما حدث في مسألة إطباق الشفتين وعدم الإطباق وكما سبق وبينت

في بحثي السابق أن المتقدمين مجمعون على إطباق الشفتين في القلب والإخفاء الشفوي أما المعاصرون قالوا بترك فرجة بسيطة جدا وعندما أسألهم أين الدليل لترك هذه الفرجة يستدلون بالكتب المعاصرة وهل لهؤلاء رأي في التجويد بل الحجة لمن تقدم وأطرح على كل من يقرأ بحثي هذا نفترض أن هناك مسألة خلافية بين المعاصرين والمتقدمين في التجويد فأيهما نأخذ بكلامه من الفريقين ؟ بلا شك نقدم كلام المتقدمين أمثال طاهر بن غلبون وابن مجاهد أول من سبغ السبعة والداني والشاطبي والجزري ومن على شاكلتهم ولا حجة للمعاصرين ولا رأي لهم في التجويد ولو أشكل علي مسألة في التجويد أذهب للمتقدمين وأسبح في بحر كلامهم وأنعلم من كتبهم ولكن أريد الإنصاف هناك القليل جدا من العلماء المتأخرين مازالوا على نسق المتقدمين في مصنفاتهم أمثال الضباع والشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قراء الشام وأستاذي الشيخ الحبيب إلى قلبي أيمن رشدي سويد وفضيلة الشيخ يحيى الغوثاني أعز أصدقائي ومن حذا حذوهم بالنقل عن من تقدم فقط وكانت نصيحتهم ألا تجعل لنفسك رأيا في التجويد تكن من أنجح المدرسين لعلم التجويد بل تنقل عن من تقدم فحسب بحيث لو اصطدم معك أحد شيوخ العصر تخبره بأن هذا ليس بكلامك بل كلام الأئمة المعترين وهذا هو منهجي في التدريس إلى يومنا الحالي . أما مسألة تفشي الضاد فقد استخدم سيويه كلمة التفشي في وصف الشين وكذلك فعل المراد لكنه وصف الضاد أيضا بالتفشي وتعريف التفشي في اصطلاح المجودين : كما عرفه مكى ( هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها ) وصرح بذلك ابن الجزري في كتابه النشر والتمهيد بأن الضاد متفشية وتفشيها في استطالتها وقال بنفس كلام مكى في الرعاية ابن الجزري في التمهيد ص58/ 59 ( .... الحرف المتفشي، وهو الشين. سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها عند النطق بها ..... وقيل إن في الياء تفشياً. فقلت: الواو كذلك. وقال قوم حروف التفشي ثمانية: الميم والشين والفاء والراء والثاء والصاد والسين والضاد، تفشي الميم بالغنة، والشين والثاء بالانتشار، والفاء بالتأفف، والراء بالتركير، والصاد والسين بالصفير، والضاد بالاستطالة. قلت: ومن جعل الميم حرف تفش بالغنة يلزمه النون، لأنه حرف أغن. ومن لقب الصاد والسين بالتفشي لصفيرهما يلزمه الزاي لأن فيه ما فيها من الصفير. ومعنى التفشي هو كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها حتى يتصل الحرف بمخرج غيره ) اه وقال أيضا في النشرح ص163 (وحروف التفشي وهو الشين اتفاقا لأنه تفشي في مخرجه حتى اتصل بمخرج الطاء وأضاف بعضهم إليها الفاء والضاد وبعض : الراء والصاد والسين والياء والثاء والميم .) اه وقال الإمام مكى ابن أبي طالب القيسي في كتابه الرعاية ص 46 ( .....الحرف المتفشي وهو الشين سميت بذلك لأنها تفشت في مخرجها عند النطق به حتى اتصلت بمخرج الطاء وقد قيل إن في الثاء تفشياً , ومعنى التفشي : هو كثرة انتشار خروج هواء الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بها , وقد ذكر بعض العلماء ( الضاد ) مع الشين وقال الشين تتفشى في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام قال : وسمى هذان الحرفان المخالطين لأنهما يخالطان ما يتصلان به من طرف اللسان ) اه وقد أشار ابن جني ج 1 ص 218 إلى التفشي مقرونا بالاستطالة في الضاد كما تبين من

قوله ( وأما الضاد فلان فيها طولاً وتفشياً فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي فلم يجز ذلك ) اه وبين عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح أن الضاد متفشية بقوله عن التفشي ص 69 ( وأما المتفشية وتسمى المخالطة لأنها تخالط ما يتصل بها في طرف اللسان فالشين والضاد وذلك أن الشين تنفسي في الفم حتى تتصل بمخرج الطاء والضاد تنفسي حتى تتصل بمخرج اللام ولذلك سميت الحرف المستطيل لأنها استطالت من موضعها حتى خالطت بالإطباق الذي فيها الطاء والطاء والصاد وفي الفاء أيضاً تفش لأن مخرجها يستطيل .... ومعنى التفشي انتشار الصوت بها عند النطق ) اه وقال في ص 113 عن الشين ( ..... وهي والضاد الحرفان المتفشيان ... ) اه ونقل أبو شامة في شرح الشاطبية أن ابن مريم الشيرازي صاحب كتاب ( الموضح في القراءات الثمان ) قال ( ومنها حروف التفشي وهي أربعة مجموعة في قولك ( مشفر ) وهي حروف فيها غنة وتفش وتأفف وتكرار وإنما قيل لها حروف التفشي وإن كان التفشي في الشين خاصة لأن الباقية مقاربة له لأن الشين بما فيه من التفشي ينتشر الصوت فيه ويتفشي حتى يصل إلى مخارج الباقية ) اه ومن فوائد معرفة صفة التفشي في صوت الحرف أن علماء التجويد قرروا أن كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص منه صوتاً وأثبت أبو عمرو الداني في كتابه الإدغام الكبير هذه القاعدة بقوله ( وجملة الحروف التي تمتنع من الإدغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف وقد جمعتها في قولك : فرم ضرس شص : الشين والضاد والصاد والسين والزاء والميم والفاء أما الشين فمن أجل تفشيها وأما الضاد فلا استطالتها وأما الراء فلتنكيرها وأما الصاد والسين والزاء فلصغيرهن وأما الميم فلغنتها وأما الفاء فلتفشيها ) اه إذن سنتج من الكلام السابق أن الضاد اللسانية توصف بالتفشي وتفشيها في استطالتها في مخرجها وتسمى الاستطالة تفشياً .

## {صُوتُ الضَّادِ الدَّالِيَّةِ وَالطَّائِيَّةِ عِنْدَ المُعَاصِرِينَ}

تختلف الظواهر الصوتية العامة عند العرب المعاصرين عن بعض الظواهر الصوتية الفصحى التي نزل بها القرآن ومن ذلك ما انتشر بين بعض العرب المعاصرين وأخص منهم المصريين فقد أصاب ضادهم التطوير فقد صارت الضاد عندهم صوتاً شديداً بعد أن كان رخواً في القديم كما صارت الطاء والقاف والباء أصواتاً مهموسة عندهم في اللهجة الدارجة اليومية لديهم وصرح علماء الأصوات أن الضاد التي ينطق بها في مصر الآن لا تختلف عن الدال في شيء ويبدو أن الضاد العربية القديمة قد تحولت في نطق المصريين إلى طاء منذ فترة مبكرة ولم يقتصر هذا التحول في النطق على تلاوة القرآن الكريم كما لاحظته علماء القراءات بدءاً من القرن الثامن الهجري عصر بن الجزري رحمه الله بل إن الخلط في النطق بين الضاد والطاء وعدم التفرقة بينهما قد شاع عند العوام وامتد أثره على الكتابة أيضاً كما صرح بعض العلماء بذلك وقد أشار بن الجزري وهو من علماء القرن الثامن الهجري إلى تحول مخرج صوت الضاد العربية القديمة عند أكثر المصريين وبعض أهل المغرب ونطقهم إياها طاء مهملة بقوله ص 87 التمهيد ( " واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسر على اللسان غيره والناس يتفاضلون في النطق به فمنهم من يجعله طاء مطلقاً ..... ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدر على غير

ذلك وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب (( اه وفي القرن التاسع الهجري أشار ابن حجة الحموي ( ت 837هـ) إلى أن المصريين يدلون الضاد دالا وذلك في سياق تفسيره لاسم ( مدغليس ) مخترع فن الزجل حيث قال في كتابه بلوغ الأمل في فن الزجل ص 100 / 101 ( " وهذا الاسم مركب من كلمتين أصله مضع اللبس واللبس جمع ليستة وهي لقية الدواة وذلك لأنه كان صغيرا بالمكتب يوضع ليقته والمصريون يدلون الضاد دالا فأطلق عليه هذا الاسم وعرف به " ) اه وفي القرن العاشر الهجري أشار ابن غانم المقدسي ( ت 1004هـ) إلى نطق المصريين " بالضاد ممزوجة بالدال المفخمة أو الطاء المهملة " وصرح بذلك في كتابه بغية المرتاد لتصحيح الضاد ص 121 وفي القرن الثاني عشر الهجري يكرر محمد المرعشي المعروف بساجقلي زاده ( ت 1150هـ) التأكيد أن نطق الضاد الشائع في زمانه كالطاء خطأ يجب التنبيه عليه . وذكر د / إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية ص 36 أن الضاد تنطق من مخرج الدال بقوله ( ".....التجارب الحديثة تبرهن على أن الطاء كما تنطق بها الآن صوت مهموس وان نظيرها غير المطبق هو التاء كما تبرهن على أن الصوت المطبق الذي نظيره الدال هو الضاد كما تنطق بها الآن فما وصفوه لنا على أنه الطاء هو في الحقيقة الضاد المصرية الحديثة " ) اه قلت فالهدف من سرد هذه الأقوال تحذير العربي المعاصر وخاصة المصريين منهم من تلاوة القرآن بهذه الضاد الحديثة فهو لحن فادح في كتاب الله ولئن أراد الإتقان وقراءة أصوات الأحرف القرآنية كما نزلت عليه أولا معروفة الظواهر الصوتية في قومه التي تغاير الصوت العربي الذي نزل به القرآن فإن من عرف ذلك لم يمزج بين الأصوات الفصحى القرآنية والأصوات العامية وإن أردت المزيد في ذلك عليك بالاطلاع على بحثي المسمى ( الفرق بين الظواهر الصوتية القرآنية والظواهر الصوتية العامية ) ففيه الفائدة إن شاء الله .

## { عُلَمَاءُ الْأَصْوَاتِ وَتَعْرِيفُهُمْ لِصَوْتِ الضَّادِ الانفجارية }

توصف الضاد عند علماء الأصوات المحدثين بالصوت الانفجاري وتعريف الانفجار عندهم يقابل معنى صفة الشدة عند علماء التجويد ويعرفونه بأنه (خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عند احتباسه عند المخرج كما في نطق الباء والتاء والدال والطاء والضاد والكاف والقاف والهمزة ) وأضافوا الضاد من الأحرف الانفجارية وهي عندهم قد تطور النطق بها في الوقت المعاصر حتى صارت مفخم الدال أما الضاد التي نزل بها القرآن فلا علاقة لها بهذه الضاد الانفجارية بل الضاد القرآنية رخو والرخاوة عندهم تعني الاحتكاك وتعريف الاحتكاك عندهم (خروج الصوت مستمرا في صورة تسرب للهواء محتكا بالمخرج كما في نطق ( ف ت ذ ظ ز س ص ش خ غ ح ع ه ) .

## { ابنُ غانم المقدسيِّ والمرعشيِّ ومُشكلةِ الضادِّ }

منذ القرن الثاني الهجري وهناك خلط بين صوت الضاد والطاء في النطق , وفي عهد الخلافة العباسية وفي عاصمتها بغداد كانت بدايات ظهور المؤلفات التي تعالج مشكلة نطق الضاد والخلط بينه وبين الطاء اللسانية الأسنانية وقد

تمثل ذلك في كتاب ( الضاد والطاء ) لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ( ت 216 هـ ) وقد سجل علماء التجويد في كتبهم كثيرا من الظواهر المتعلقة بنطق الضاد عبر قرون كثيرة فنجد مكّي بن أبي طالب ( ت 437 هـ ) يؤكد في كتابه الرعاية على قضيتين أولا صعوبة الضاد وثانيا اختلاطها بالطاء وقال الداني ( 444 هـ ) في كتابه التحديد ( ومن أكد ما على القراء أن يخلصوه من حرف الطاء بإخراجه من موضعه وإيفائه حقه من الاستطالة ولا سيما فيما يفترق معناه من الكرم فينبغي أن ينعم بيانه ليميز بذلك ) اهـ وقال عبد الوهاب القرطبي في كتابه الموضح في التجويد ( ت 462 هـ ) .. وأكثر القراء اليوم على إخراج الضاد من مخرج الطاء ويجب أن تكون العناية بتحقيقها تامة ) اهـ وقال ابن وثيق في كتابه تجويد القراءة ( ت 654 هـ ) .. وقل من يحكمها في الناس ) اهـ وبعد ذكر هذه المؤلفات القديمة تتخذ المناقشات التي تدور حول قضية الضاد اتجاها جديدا وذلك حين بدأت تظهر مؤلفات مستقلة في الموضوع أشرت إلى بعضها من قبل وبين أيدينا كتابان من هذه المؤلفات وهما :

1. كتاب (( بغية المرتاد لتصحيح الضاد )) لعلي بن محمد المعروف بابن غانم المقدسي رحمه الله ( ت 1004 هـ ) .

2. وكتاب (( كيفية أداء الضاد )) لمحمد المرعشي الملقب ساجقلي زادة رحمه الله ( ت 1150 هـ ) .

فما يريد أن يثبت ابن غانم المقدسي أن الضاد الصحيحة هي الطاء وهذا في القرن الحادي عشر الهجري ورد ابن غانم المقدسي في كتابه وخطأ المصريين في نطقهم للضاد والصواب عنده هي صوت الطاء وسناقش كلامه بعد قليل وجاء من بعده المرعشي التركي في القرن الثاني عشر الهجري وألف كتابه المسمى ( كيفية أداء الضاد ) ويتابع في هذه الرسالة رأي ابن غانم السابق الإشارة إليه في تخطئة نطق المصريين للضاد فسخر الله تركيا آخر ينتصر للمصريين ويرد على المرعشي وابن غانم المقدسي وهو الشيخ محمد بن إسماعيل الأزميري ( ت 1160 هـ ) فألف الأزميري رسالة بعنوان ( الرد على رسالة المرعشي في الضاد ) وخطأ المرعشي لتقريره أن الضاد التي نزل بها القرآن هي صوت الطاء كما زعم المرعشي وابن غانم فجزي الله الشيخ إسماعيل الأزميري خير الجزاء لرده المفحم عليهما والآن نناقش أفكار المقدسي والمرعشي في كتابهما اللذين قالوا فيهما أن الضاد التي تصح هي الطاء مع التلخيص لمنهج الكتابين ولنبدأ بكتاب المقدسي المسمى ( بغية المرتاد لتصحيح الضاد )) فإن المقدسي أوضح في كتابه سبب تأليفه الكتاب وبين منهجه حين قال في المقدمة بعد الافتتاح ( .. لما رأيت بمحروسة القاهرة التي هي زين البلاد كثيرا من أفاضل الناس فضلا عن الأوغاد يخرجون عن مقتضى العقل والنقل في النطق بالضاد ... ثم شاع الإنكار منهم علينا في كل نادٍ بين حاضرة وبادٍ فأردت مع طلب جمع من الإخوان وإشارة من بعض الأعيان أن أزيل الغبن من غير الرشاد ... وسميته بغية المرتاد لتصحيح الضاد . وقبل الحوض في المرام لا بد من تقرير الكلام وتحريم المقام فليعلم أن أصل هذه المسألة أنهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالبدال المفخمة والطاء المهملة وينكرون على من ينطقون بها قريية من الطاء المعجمة بحيث يتوهم بعضهم أنها هي وليس كما توهمه فنقول الكلام في إثبات ما أنكره منحصر في مقدمة فيما يجب أن نقدمه وفصلين محيطين من الدلائل بنوعين وخاتمة لتسيهات ودفع تمويهات .. ) اهـ أما

المقدمة فكانت في بيان مخرج الضاد وماها من الصفات وأما الفصل الأول فذكر فيه ما يدل بالمعقول على أن اللفظ بالضاد كالطاء المعجمة هو المقبول وهي أدلة متعددة لاحتمال له بالنظر في المعقول فذكر اثني عشر دليلاً تعطي مثلاً للبحث الصوتي الأصيل ومن ثم رأيت أن نقل تلك الأدلة مختصرة مع المحافظة على عبارة المؤلف مع التنبيه أن هذا الكلام المتسلسل لابن غانم المقدسي وهو كالآتي :

1. " أن علماء هذا الفن وغيرهم تعرضوا للفرق بينهما وبينوا الألفاظ التي تقرأ بالطاء والتي تقرأ بالضاد في مؤلفات مستقلة وغير مستقلة نظماً ونثراً ... فيأليت شعري لولا التشابه بينهما لفظاً والالتباس حتى خفي الفرق بينهما على كثير من الناس لم كان هذا الجمل الغفير يتعقبون القلم ويسودون القرطاس .. "

2. " أن الضاد ليست في لغة الترك بل مخصوصة باللغة العربية ... دل عليه قول الأستاذ أبي حيان في كتاب له في اللغة التركية .... إذا علم ذلك فليس مفقوداً في لغة الترك إلا الضاد الشبيه بالطاء المعجمة . أما هذا الحرف الذي يشبه الدال المفخمة والطاء المهملة الذي ينطق به أكثر المصريين ولنسمه بالضاد الطائية فموجود في لغة الترك في أكثر ألفاظهم كما يشهد به العارف في لغتهم بل السامع لكلامهم والموجود غير المفقود وبذلك يتم المقصود .. "

3. " أن الفقهاء ذكروا أحكام من يبذل الضاد طاء ... ولم يتعرضوا لأحكام من يبذلها بحرف غير الطاء كما تعرضوا لأحكام من يبذلها به فلولا التشابه بينهما لما كانوا يفعلون ذلك ... "

4. " أن بعض العلماء وصفها بالنفشي ولا تفشي فيه .... " قلت هذا في حد زعمه .

5. أنهم ذكروا أن من صفاتها النفخ وشاركها فيه الطاء والذل والزاي ولا يتحقق ذلك إلا بالضاد الشبيهة بالطاء أما الضاد الطائية فلا يوجد فيها هذه الصفة كما يشهد به من أحاط بالمقدمة معرفة ... "

6. أنهم ذكروا من صفاتها الاستطالة كما مر ذكرها ومعناها في المقدمة وهي الميزة لها عن الطاء ولا يوجد في الضاد الطائية الاستطالة "

7. " أنهم ذكروا من صفاتها الرخاوة وهذا شديد الدلالة عند من ليس عنده غباوة فإنه لا رخاوة فيها إلا إذا أنت شبيهة بالطاء أما الضاد الطائية فمشوبة بالدال والطاء المهملة وكل منهما حرف شديد فكذا ما هو بينهما بل من عرف معنى الشدة والرخاوة وقدمناهما في المقدمة يجد هذا الحرف متصفاً بالشدة قطعاً مع قطع النظر عن الدال والطاء .. "

8. أن هذا الحرف صعب على اللسان نص على ذلك علماء هذا الشأن ... فإذا كانت الضاد العربية بهذه المرتبة من الصعوبة وأنت ترى أن لا صعوبة في الضاد الطائية بل هي في غاية السهولة على اللسان يستوي في النطق العالم والجاهل والفارس في العلم والراجل فإنك تعلم بأن الضاد الطائية بعيدة عن الضاد العربية بمراحل .. "

9. أن المخرج المنصوص عليه للضاد في الكتب المعروفة المتداولة ليس إلا للضاد الشبيه بالطاء المعجمة لا الطائية فإنهم قالوا في معرفة مخرج الحرف أن تسكنه وتدخل عليه همزة وتنظر أين ينتهي الصوت فحيث انتهى فثم مخرجه ..... وأنت إذا نطقت بالضاد الطائية وفعلت ما تقدم ذكره لا تجد الصوت ينتهي إلا إلى طرف اللسان وأعلى الحنك وهو مخرج الدال والطاء والتاء ولم نر أن أحدا ذكر أن مخرج الضاد من هذا المحل بل ما ذكرناه لها من المخرج المذكور في كتب لا تحصى في علم القراءات وعلم النحو ... فإن قيل : نحن نروي هذه الضاد الطائية بالمشافهة عن الشيوخ الراوين عن شيوخهم بالإسناد المتصل بأئمة القراء البالغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلنا لا عبرة بالرواية المخالفة للدراية إذ شرط قبول القراءة توافق العربية وقد بينا مخالفتها لما تواتر في كتب العربية والقراءات ... "

10. "أن من أوصافها الشجرية لقبها بما صاحب القدر الجليل إمام لنحو الخليل ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت شبيهة بالطاء فإن الضاد الطائية تخرج من طرف اللسان لا شجر الفم ...."

11. قولهم في صفة الإطباق ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والطاء ذالا وخرجت الضاد من الكلام إذ لا يخرج من موضعها غيرها وهذا نص كلام الأستاذ أبي حيان في شرح التسهيل ومثله في شرح المفصل لابن يعيش وهذا كما ترى يخص الضاد الشبيهة بالطاء أما الطائية فتخرج من مخرج الحروف النطعية كما وصفت أخواتها ولقالوا : لولا الإطباق لصارت الضاد دالا بدل قولهم خرجت من الكلام كما لا يخفى عن ذوي الإفهام ..."

12. أن أهل مكة التي نشأ النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد العرب وما والاها من بلاد الحجاز التي هي محل العرب وموطنهم إنما ينطقون بالضاد شبيهة بالطاء المعجمة ولا يسمع من أحد منهم هذه الطائية وهم نعم المقتدي لمن رام في هذا السبيل الاهتداء "

13. "الفصل الثاني : فيما يدل بالتصريح على أن التلفظ بالضاد شبيهة بالطاء هو الصحيح وهو المنقول من كلام العلماء الفحول المتلقى كلامهم بالقبول " وقد أورد المؤلف في هذا الفصل اثني عشر نصا عن كبار علماء العربية والتجويد ويستدل بهذه الأقوال أن الضاد تلفظ طاء

14. " وأما الخاتمة ففيها تنبيهات رافعة لتمويهات الأول : انه ليس مرادي بكون الضاد شبيهة وقريبة منها كونها ممزوجة بما غاية الامتزاج بحيث يخفى الفرق بينهما على الجيد لفن التجويد ... " ثم ذكر في الثاني الرد على قول من فسر الشجر بمجمع اللحيين عند العنقفة ورجح التفسير المنقول عن الخليل للشجر بأنه مفرج الفم ثم ذكر في الثالث : الرد على من فسر صعوبة الضاد بصعوبتها على العجم والترك ونحوهم ممن سوى العرب أما على أمثاله من العرب فلا صعوبة فيها .

15. وختم هذه التنبيهات بقوله " أن من ينطق بالضاد من مخرجها الخالص مع صفاها المميزة لها حتى عن الطاء فهو في أعلى مراتب النطق بها ومن الفصاحة ودونه من ينطق بها من مخرجها مشوبة بالطاء

لكن من مخرجها وبينهما نوع فرق ودونه من ينطق بها ظاء خالصة ومن يشمها الذال ومن يشمها الزاي ومن يجعلها لاما مفخمة وكذا من ينطق بالضاد الطائية فهو في أسفل مراتب النطقية بالنسبة إلى من سبق ذكره ... " اه وختم المؤلف الكتاب ببذة من أقوال الفقهاء في صلاة من يبدل حرف الضاد . ويحتل هذا الكتاب مكانة خاصة في بحث مشكلة الضاد اللسانية فعمر هذا الكتاب اليوم أكثر من 400 سنة تقريبا ويتميز أسلوبه بالبعد عن الجدل المنطقي واعتماد النقاش العلمي مع تعمق في فهم الظواهر الصوتية المتعلقة بالضاد . ولخص الدكتور غانم قدوري الحمد ما تضمنه كتاب بن غانم بقوله : ( سجل المؤلف النطق الشائع في عصره لصوت الضاد فأهل مصر ينطقون بها دالا مفخمة ممزوجة بالطاء وسماها المؤلف الضاد الطائية وأهل مكة والحجاز ينطقون بالضاد شبيهة بالطاء ويفهم من كلام المؤلف أنه لا يزال هناك من ينطق بالضاد العربية في زمانه . ) اه

أما كتاب المرعشي ( كيفية أداء الضاد ) فإنه يأتي بعد كتاب المقدسي بـ 150 سنة تقريبا وجاءت مادته مؤكدة لاتجاهات كتاب ( بغية المرتاد ) للمقدسي وذلك بالنص على أن نطق الضاد شبيهة بالطاء لا يمثل صوت الضاد العربية القديمة التي وصفها العلماء في كتبهم وان الضاد شبيه بالطاء أقرب إلى النطق الصحيح من نطقها شبيه بالطاء وتتكون رسالة المرعشي رحمه الله من مقدمة ومقصد وخاتمة أما المقدمة فهي في توضيح صفات الضاد الصوتية وبيان علاقتها ببعض الأصوات . ( وأما المقصد فهو أن ما شاع في أكثر الأقطار من تلفظ الضاد المعجمة كالطاء المهملة في السمع بسبب إعطائها شدة وإطباقا أقوى كإطباق الطاء وتفخيما كتفخيما خطأ بوجوه ) ثم ذكر سبعة وجوه تتعلق بصفات الضاد القديمة وما يؤدي إليه نطقها طاء من الإخلال بتلك الصفات وقال المرعشي بعد ذلك ( إن جعل الضاد المعجمة طاء مهملة مطلقا أعني في المخرج والصفات لحن جلي وخطأ محض وكذا جعلها ظاء مطلقا لكن بعض الفقهاء قال بعدم فساد من جعلها ظاء معجمة مطلقا لتعسر التمييز بينهما فهو أهون الخطأين ) وقال في موضع آخر من الكتاب ( وبالجملية إن الضاد أشبه بالطاء المعجمة .... فإن قلت : فكيف شاع التقصير في أكثر الأقطار ؟ قلت : ألم تسمع ما قاله صاحب الرعاية : التحفظ بلفظ الضاد المعجمة أمر يقصر فيه أكثر من رأيت .... وذلك في تاريخ أربعمئة وعشرين وزماننا هذا أحق بالتقصير فلعل غلط المصريين قد شاع ... ) اه ولم يكتب المرعشي بما أورده في رسالته عن موضوع الضاد فعاد إلى مناقشته مرة أخرى في كتابه ( جهد المقل ) فقال في الفصل الأول ( ليس بين الضاد المعجمة والطاء المهملة تشابه في السمع ... فما اشتهر في زماننا من قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فهو عجب لا يعرف له سبب .... و قراءة الضاد المعجمة مثل الطاء المهملة فيها مفاصد : الأول : أنه يلزم إعطاء الشدة للضاد مع أنه رخو . والثاني : أن الاستطالة امتداد الصوت فتفوت حينئذ . والثالث : أن في الضاد نفثيا قليلا فيفوت حينئذ أيضا ..... فإن لفظت بالضاد بأن جعلت مخرجها حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس بدون إكمال حصر الصوت وأعطيت لها الإطباق والتفخيم الوسطين والرخاوة والجهر والاستطالة والنفثي القليل فهذا هو الحق



المؤيد بكلمات الأئمة في كتبهم ويشبه صوتها حينئذ صوت الظاء المعجمة بالضرورة وماذا بعد الحق إلا الضلال  
ولإشكال أمر الضاد أطببت في الكلام وقد أفردت لها رسالة ... ) اهـ أي يقصد رسالته في الضاد السالفة  
الذكر والآن استبان للجميع رأي المقدسي والمرعشي من تقريرهما والتجوز لديهما من قراءة القرآن بصوت الظاء  
بدل الضاد الفصيحة وهذا لا يصح بكل المقاييس العربية الفصيحة وهذا البحث رأي ابن غانم المقدسي  
والمرعشي نقلا من كتاب الدراسات الصوتية لغانم الحمد . الجزء الأول انتظر الجزء الثاني

بحث للباحث أ / فرغلي سيد عرباوي  
باحث في علم الصوتيات التجويدية القرآنية  
بريد إلكتروني : Fargh22@yahoo.com  
[Fargh22@hotmail.com](mailto:Fargh22@hotmail.com)